أوغاريت وهوميروس وثقافة بلاد مابين النهرين

للأستاذ : جورج دوسان

تعريب وتلخيص : بشير زهدي

ان تنقيبات الدكتور شيفر في رأس الشمرة (أوغاريت) حملت إلينا كثيراً من الشواهد ذات الصفة الأثرية والفنية التي تظهر لنا أن أبناء أوغاريت عقدوا صلات وثيقة مع العالم الميسيني منذ النصف الثاني من الألف الثاني ق.م ويكفي ان نذكر في مجال (العمارة) قبر آثولوس Tombe Atholos النموذج الخاص بالعصور الميسينية ، وفي ميدان (التصوير) رسوم الأواني الميسينية التي تظهر أيضاً في أوغاريت ، ولكن هذه العلاقات ليست محصورة فقط في الميدان المادي وانما وجدت أيضاً من وجهة نظر أدبية علاقات ليست أقل وثوقاً ، وتقدم النصوص الهوميرية بعض الخصائص التي لا يمكن تفسيرها الا بتأثير العالم الفينيقي الذي تجسده الوثائق الأوغاريتية المكتوبة . ومع الأسف لم تصلنا شواهد مباشرة لهذا التأثير ولكن من الممكن التحقق منه باستنطاق بعض نصوص أوغاريت التي تمكن من اكتشاف هذا التأثير ويظهر ثقافة بلاد مابين النهرين في فينيقية ولاسيما في أوغاريت حيث تتأكد العلاقات التي التي يعقدها كتاب أوغاريت مع اللغتين الكبيرتين لحضارة ذلك العصر وهما اللغة السومرية واللغة الاكادية .

واني ببحثي الحالي أريد أن أظهر بثلاثة أمثلة كم تتدخل هذه الثقافة في تفسير بعض المظاهر الغريبة للأشخاص وكنه الميثولوجيا اليونانية التي تعرفنا بها القصائد الهومرية .

وان هذه الأمثلة مقتبسة من : آ- ذرية أجاممنون

٢- البطل جانيميد

٣- عوليس (اوليس)

آ- ذرية اجاممنون :

ان البطل الشرقي (ممنون) المعروف من القصائد الهومرية يحمل اسماً ممجداً يجعل منه بطلا شمسياً مثلث الألقاب أمه (ايوس = الفجر) وأبوه (تيثونوث) الذي تشكل اسمه من اللغة الأكادية (سينان) ويفيد معنى (شروق الشمس) ... وان (ممنون) هو مؤسس (سوزا) مدينة الشمس . وأخيراً فان هذا الاسم يتألف من (مم) و (نون) ويقدم القسم الأول الكلمة السومرية (ميم = الشمس) ، ويوجد هذا الاسم أيضاً في

اسم الملك الكبير (آجاممنون) ولكن يسبقه البدل اليوناني (آجا = بقوة ، كثير) بشكل يؤدي الى فهم اسم الملك الكبير لآرجوس – المدينة المتلألئة – كاسم الملك (كثير الشمس) وان ذرية هذا الملك ممثلة بولد واحد هو (أوريست) وعدة فتيات عرف (هوميروس) منهن ثلاث هن : (خريزوثيميس)و (لاوديكه) و (ايفياناسا) .

ففي اسم (أوريست) يمكن ان نجد عنصراً فينيقياً (عور = النور ، الضياء)يعقبه آخر الكلمة (– إيستيس) التي يمكن اعتبارها عوضاً عن التفضيل (– ايستوس) وعندئذ يكون اسم (اوريست) بمعنى (كثير النور) وان اسم (اوريست) تشكل كاسم أبيه (آجا ممنون) (كثير الشمس) . وان الكاتب الاغريقي لم ينحصر فقط باللجوء الى اللغة الفينيقية (عور) في هذا التشكيل الغريب المماثل لاسم أبيه (آجا ممنون)كثير الشمس ، وان (أوريست) نفسه كثير النور وان الكاتب الاغريقي لم يتجه فقط الى اللغة الفينيقية في تكوين الأسماء الخاصة وانما اتجه أيضاً الى اللغة السومرية التي كانت معروفة جيداً في أوغاريت . فمن المعروف ان (أوريست) كان له صديق لايفارقه (بيلاد) الذي كان بمثابة (الشخص الآخر لذاته) . وان اسم (بيلاد) بقي غير مفسر واذا أريد تحليله الى مقطعين أحدهما (بيل –) يعقبه نهاية الكلمة (– أديس) معبراً عن الانتساب وليس هناك من معطيات الاسطورة مايجعل له علاقة مع الباب (بولي) أو مع مدينة (بيلوس) كما ذهب الى ذلك عدد من شراح (هوميروس) وان مثل هذا التفسير لايشرح في كل الحالات سبب ظهور (بيلاد) في الاسطورة اليونانية كأقنوم (أوريست) . ان توحيد البطلين يفسر بشكل أفضل اذا اتجهنا نحو اللغة السومرية التي تملك كلمة (بيل = نار ، نور) مؤكدة ودارجة . ومن الممكن ادخال (بيلاد) رجل النار في مجموعة (النور) الذي شمل أسماء (ممنون) و (آجاممنون) و (أوريست) .

وان فحص أسماء ثلاث من فتيات (أجاممنون) – يجعلنا نبقى في نفس الحلقة . وان اسم (الكترا) يذكرنا باسم الشمس (الكتور) . وباسم (خريزوثيميس) – الفتاة الثانية لآجاممنون لانبتعد عن الدورة الشمسية ، وان الذهب هو معدن الشمس لدرجة أن الكلمة الاكادية (ساسو) تفيد في نفس الوقت (الشمس) و (الذهب) . ومن جهة أخرى فان المقطع (ثيميس) من الاسم(خريزوثيميس) لايبعدنا عن المفهوم الشمسي . ففي بلاد مابين النهرين يجسّد رب الشمس دائماً مفاهيم الحق والعدالة . وفي اسم الفتاة الثالثة لآجاممنون (لاوديكه) عدالة الشعب يدخل من جديد مفهوم العدالة مع مقطع (– ديكه) . ومثل اسم (الكترا) و(خريزوثيميس) فان اسم (لاوديكه) يشترك أيضاً في حلقة النور او العدالة .

وان (ايفياناسا) أشهر فتيات (اجاممنون) تنتسب أيضاً الى نفس الحلقة . ونعرفها بشكل أفضل باسم (يفيجينيا) الذي ليس سوى تغير لاسم (ايفياناسا) ذكره لنا (هوميروس) ويفهم بمعنى (ذات سيادة بالقوة)

(— ايفي) . وان هذة الترجمة الأدبية تصمد أمام نفسير عادي ومن الحق التساؤل فيما اذا كانت بصيرة هذا الاسم الغريب لاتخفي أصلا أجنبياً وهنا يتدخل اللجوء الى نصوص أوغاريت . وتضم مجموعة الآلهة السومرية ربة أنثوية للقمر (ننجال) زوجة رب القمر (نانا) استقبلها فينيقيو أوغاريت في مجموعة آلهتهم مع بعض تعديل شكل الاسم الذي أصبح (نيككال) وذلك بالانتقال من الحرف الحلقي الرنان (ج) الى الحرف الأصم (ك) وبتوحيد الحرف الأنفي الضعيف مع الحلقي (ك) وبالشكل الفينيقي الأوغاريتي (نيككال) — الذي يوجد مع ذلك معدلا هكذا في النصوص الحثية — يجب ان يلفت انتباهنا . وان الشكل السومري الأصلي (ننجال) قد فهم بمعنى (ذات السيدة = نين) و (كبيرة = جال) في حين أن الصيغةالأوغ'ريتية تعود الى (ننجال) وتأخذ معنى مختلفاً وتفيد (ذات السيادة = نين) و (القوية = كال) . ويجري ذلك كله كما لوكان الشاعر المغني الاغريقي قد اقتبس من الفينيقيين الاوغاريتيين صيغة (نيككال) (ننكال = السيادة القوية) وترجمها كما هي بـ (ايفياناسا) ذات السيادة القوية . انها تفصيل بعلم قراءة الكتابات القديمة ، فالمقطعان اليونانيان (ايفي) و (آناسا) يقدمان في ترتيب عكسي في التشكيل الاغريقي ، في حين انهما يظهران في ترتيب الكتابة الفينيقية من اليمين الى اليسار . والخلاصة فان اسم (ايفياناسا) الذي أكده (هوميروس) ليس سوى ترجمة حرفية ودقيقة للنموذج الأصلي الفينيقي (نيككال) (ذات السيادة القوية) وان فتاة (آجاممنون) الكثير الشمس تكون هكذا ربة قمرية . ولدى الاغريق ان (نظام الكون) شمسي ويرتبط القمر بالشمس في حين انه في نظر الس'ميين بالعكس اذا ان الشمس هي ابنة القمر وبالقياس فان (ايفيجينيا) المولودة من القوة يمكن تضحيتها الى (اوليس) من قبل أبيها الملك الشمس (آجاممنون) . ففي كل صباح يجعل (نجم الصبح) ابنته (ايفيجنيا) شاحبة وتنتهي باختفائها . وان وضع مشهد التضحية الى (اوليس) ليس حادث صدفة . ويكفي لكاتب الاسطورة الاغريقي ان يدرك المماثلة بين اسم (اوليس) واسم (هليوس) وان مشهد التضحية يجري في مكان يدعو اسمه حضور الشمس وتفوقها .

خلال الاعتبارات المطروحة نامح مراراً حضور الثقافة الرافدية في بلاد الشرق الأدنى القديم ، وان حالة الربة القمرية(نيككال) المعبودة في أوغاريت سمحت لنا أن نستنتج عمق هذا التأثير كما سمحت لنا أيضاً الوصول الى النتيجة بأن (هوميروس) والشعراء المغنين الميسينيين الذين سبقوه كانوا علىاتصال بهذه الثقافة بواسطة فينيقيي أوغاريت .

وهناك مثال آخر يجعلنا ندعم هذه النتيجة المزدوجة بشأن شخص (جانيميد) ساقي سيد المجموعة الالهية الاغريقية(زيوس).

جانيميد :

ان اشتقاق اسم هذا الشخص من الميثولوجيا اليونانية الذي حدثنا عنه (هوميروس)

يبدو واضحاً . وهو يتألف من مقطعين (جانو) و (ميد) الذي يعود الى فعل (ميدوماي) بمعنى (يهتم بـ) وعندئذ يكون (جانيميد) ذلك الذي يهتم بـ (جانو) . ففي هذه الصيغة ماذا يمثل المقطع (جانو) ؟

اذا عدنا الى اللغة اليونانية لانحصل على تفسير مقبول . ويمكن أيضاً التساؤل فيما اذا كان في هذا المقطع (جانو) يختفي اصطلاح من أصل أجنبي وبالتحديد شرقي . فعلى رأس مجموعة الآلهة السومرية الأكادية الرب (عآن) آنو باللغة الأكادية . وفي نصوص أوغاريت معان يدخل فيها ليس كتابة (عان) مع حرف (ء) كما في الأكادية . وفي اللهجة الاوغاريتية فان حرف (ء) قد اختفى ليحل محله الحرف السامي (ع) الذي ليس له في اللغة اليونانية معادل تماماً ، مما ادى به الى تعويضه بشكل تقريبي بحرف يوناني (ج) . ويدل هذا المصدر على ان كاتب الاسطورة اليوناني كان لديه تحت بصره ليس الشكل الرافدي (عان) وانما الصيغة الفينيقية المؤكدة في أوغاريت (عان) مع حرف (ع) . وان اسم (جانيميد) يضعنا هكذا أمام صيغة غريبة يشترك فيها المقطع الشرقي (جانو) والمقطع اليوناني (ميديس) . وان هذا ليس منعزلا فان اسم (آجاممنون) الكثير الشمس يقدم لنا نفس البنيان اليوناني والشرقي أي المقطع اليوناني (آجا = كثير) و(ممنون) المشتق من اللغة السومرية (مبمي = الشمس) والخلاصة يفيد اسم (جانيميد) معنى (الذي يهتم برب السماء (آن) سيد مجموعة الآلهة السومرية الاكادية الذي كان (زيوس)مشابهة اليوناني كسيد في آن واحد للسماء ومجموعة الآلهة اليونانية . فالتقابل بين (آنو) و (زيوس) اذن تام .

ومن جهة أخرى ان كل اسطورة (جانيميد) تضعة بعلاقة وثيقة مع (زيوس) والسماء . وان نسر (زيوس) نقله الى السماء وقد دفعت الاسطورة هذه العلاقات مع (زيوس) بعيداً بشكل جعلت من (جانيميد) المفضل والمقرّب من (زيوس) فضلا عن أنها كانت قد جعلت منه الساقي .

واذا أخذت بعين الاعتبار قرابة (جانيميد) يلاحظ بأنه لدى هوميروس كان البطل يوجد بكونه ابن (زيوس) وله أخوان (ايلوس) و (اس'راكوس) ولم يكن المختص بالدراسات السامية صعوبة التعرف في (إيلوس) على الكلمة الاكادية (ايلو = الرب) . وفي مجموعة آلهة أوغاريت الرب (ايل) على رأسهم كرب السماء وكسيد لكل الآلهة . ويوجد في الديانه الاسلامية بشكل (الله) .

أما (آساراكوس) فانها تسمية مقتبسة من السومرية (ان شار) . الرب (آن) الكلية (شار) ، رب الكون ان هذه التسمية مطبقة على الرب الأعلى (آشور) ، وقد أخذ كاتب الاسطورة الاغريقي التسمية السومرية (آن شار) ولكنه أخضع توحيد الحرف الانفي (ن) مع حرف الصفير التالي ، وهذا حادث صوتي دارج في اللغات السامية . وان اسطورة (جانيميد) تجري في جو رب السماء الاغريقي (زيوس) .

ولتعليل وظيفة الساقي المختارة لـ (جانيميد) فلا بد من ملاحظة ان السادن الاغريقي استطاع ان يجد في اللغة الاكادية معطيات مفيدة .

فالمقطع (جانو) يمكن ان يدون الكلمة الاكادية التي تفيد معنى (وعاء شراب مختمر) وتوجد هذه الكلمة (كانو) لتفيد معنى (وعاء الاله) ويبدو جيداً ان كاتب الاسطورة اليوناني اغترف من المعطيات المعجمية السومرية الاكادية لابتكار (جانيميد) (الذي يهتم بالمجمع الالهي) الذي يضم الشراب المحفوظ للآلهة ، فاذا كان الأمر كذلك فانه لدينا تفسير مزدوج لاسم (جانيميد) الذي يفيد في آن واحد (الذي يهتم بآنو = زيوس) و (الذي يهتم بشراب الآلهة المقدس) .

ان اسم (جانيميد) يعطي مجالا لتقدير مزدوج من قبل اللغات الشرقية أحدهما خاص (بطبيعة البطل) ، والآخر (بوظيفة ساقي زيوس) .

واذا كان الشاعر المغني الهوميري قد توجه الى اللغة الفينيقية وثقافتها المشبعة بتأثيرات رافدية ليؤكد لابطاله وبطلاته اسماء صنعية وعالمة فليس هناك مجال للاستغراب اذا اريد التذكر بأن الشاعر الاغريقي هو صانع وعالم حريص على الظهور هكذا في عيون الأمراء والسادة الذين عليهم الاصغاء إليه والاهتمام بحديثه .

أوليس ملك إثياك :

ان أوليس كما يصوره لنا (هوميروس) في أربع وعشرين أغنية من قصيدته اعتبر دائماً كنموذج كامل للمسافر ، وأراده الشاعر المغني ان يكون هكذا وليس ذلك بدون سبب وحرصاً منه على اعطائه اسم (اوديسيوس) . لقد كان سعيداً بالتعرف في المقطع الأول الاغريقي على معنى (طريق ، شارع ، سفر). ومن جهة أخرى ، فانه لدى الشرقيين كان القمر الكوكب الأساسي الأول ووالد الشمس ويدور هو أيضاً كمسافر كبير في السماء . وكان الرحالة الكبير بحسب الصفة التي أضفاها الرومان عليه المتعدد الطرق . وان اسمه في اللغة الرافدية كما في أوغاريت (أرحو) و (يرح) هو من (أورهو) كلمة أكادية مرادفة لـ (حرانو) (الطريق ، الشارع ، القافلة) ، كما أن مدينة (حران) في بلاد مابين النهرين الشمالية تبنت رب القمر كالرب الأول . وان هذا التبني كان عمل تقارب هادف بين كلمتي (ارحو) و (أورحو) ، (شارع ، طريق ، قمر) و (حرانو) (شارع ، طريق ، قافلة) . وان عبادة القمر في (حران) أتت من اسم المدينة نفسه . فهو رب المدينة الحقيقي .وينتج عن ذلك ان (اوليس) (رجل الطريق) كان يعتبر من قبل (هوميروس) وسابقية الميسينيين كرب القمر لأنة رحالة كبير .

وهناك اعتباران يسمحان بدعم هذا المفهوم أحدهما خاص باسم المدينة التي كان (أوليس) سيدها ، فكان ضرورياً في كل الحالات ومناسباً ان يسكن (أوليس) — كشخصية قمرية — مدينة أو جزيرة يذكرنا اسمها باسم القمر . وهذا مايحدث تماماً اذ أن اسم (ايثاك — ايثاكوس) يقدم كمقطع

أول الكلمة السومرية (ايتي) (الشهر القمري ، الهلال القمري) . وان المقطع الأخير (اكوس) يوجد في الاسم الطروادي (اساراكوس) أو في اسم (نانا كوس) (رب القمر) لدى الفريجيين . ولنلاحظ بأنه في الأساطير السومرية (نانا) المقطع الأول من (نانا كوس) كان اسم رب القمر أما الاعتبار الثاني – الذي لمصلحة (أوليس) البطل القمري وكرحالة كبير – ، فانه خاص بنسبه .وقدم لنا (هوميروس) اسم جده (اوتولوكوس = الذي يتلألأ من ذاته) . وفي اسم العلم هذا لدينا ذكرى عبارة أكادية التي تشاهد مراراً في الأناشيد الدينية المهداة الى رب القمر الموصوف بـ (الثمرة التي تخلق من ذاتها)

إن من الصعب اعتبار هذا التقارب يحدث كعمل مصادفات بسيطة لان من الأفضل اعتبارها كنتيجة تقديرات قائمة على معرفة واعية باللغات الشرقية ولاسيما السومرية والاكادية اللتين عرفهما الاغريق الميسينيون بواسطة الفينيقيين وبالتحديد بواسطة كتاب أوغاريت الذين كانوا حملة الثقافة الرافدية ككل كتاب عالم شرق البحر المتوسط منذ مصر حتى الحيثين ومنذ منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . وان اكتشاف وثائق ابلا يجعل تاريخ هذا التأثير أسبق بألف عام . وان نشرها سيبرز للعيان دور الواسطة الذي لعبه فينيقيو أوغاريت بين العالم الميسيني وعالم الشرق القديم .

**